

الوسائل التعليمية وأثارها على التحصيل الدراسي لدى متعلمي المرحلة الابتدائية- دراسة تقييمية تقويمية

Didactic tools and their effects on the academic performance of primary school learners -Evaluative study-

د.الوناس نصيرة

جامعة امحمد بوقرة بومرداس (الجزائر)، n.lounnas@univ-boumerdes.dz

تاريخ القبول: 2025/02/10

تاريخ الاستلام: 2024/01/04

ملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية لمعالجة موضوع الوسائل التعليمية وأثارها التحصيلية لدى متعلم المرحلة الابتدائية، وقد وقع اختيارنا على هذه الأخيرة باعتبارها مرحلة ذات أهمية في مسار التعليم، لذلك تأخذ وسائل عرض المحتوى التعليمي فيها دورا كبيرا. أما عن اختيارنا لهذا الموضوع فكان رغبة منا في التعرف على نوع الوسائل التعليمية وواقعها في المدرسة الجزائرية بنوعها العام والخاص، ثم البحث عن أثارها على التحصيل الدراسي. وهي في عمومها دراسة تقييمية تقويمية في الوقت نفسه.

وقد قادتنا الدراسة إلى نتيجة أساسية وهي أن الوسائل التعليمية ضرورة ملحة، وإن كان واقعها في المدرسة العمومية ما يزال دون المستوى المطلوب، مما بات يشكل عائقا حقيقيا أمام رفع المستوى التحصيلي، في ظل واقع تكنولوجي أصبح يلقي بظلاله على مختلف جوانب الحياة الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: التحصيل الدراسي؛ رهانات العولمة؛ متعلم المرحلة الابتدائية؛ المدرسة الجزائرية؛ المدرسة الخاصة، الوسائل التعليمية.

Abstract:

This study seeks to address the issue of didactic tools and their effects on the academic performance of primary school learner, and we have chosen the primary stage due to its importance. Our choice of this topic was our desire to identify the type of methods employed in the school, and to search for their effects on the academic performance.

In order to achieve the objectives of the study, it was distributed into elements, and we relied on the descriptive approach in presenting it, and we reached a basic conclusion; It is that the didactic tools in our schools do not meet the learner's need, which negatively affects the level of academic performance, in light of the technological reality that has cast a shadow on the various aspects of human life.

Keywords: Academic performance; Algerian school; Didactic tools; Primary school learner; Private school ;Stakes of globalization.

١. مقدمة

إنّ الحديث عن المدرسة الجزائرية هو حديث عن قطاع حيوي وهام في المجتمع الجزائري، باعتبارها مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية، ونظرا للأهمية الملقاة على عاتقها فقد خضعت لتحسينات مستمرة، تحت ما يسمى بإصلاح المنظومة التربوية، مسّ على وجه التحديد المنهاج التربوي. والحديث عن المدرسة هو حديث كذلك عن الطفل المتعلّم في هذه المرحلة التعليمية المهمة والحساسة.

تقوم العملية التعليمية على مجموعة من المرتكزات الأساسية، على غرار: المعلّم والمتعلّم والمحتوى التعليمي، إضافة إلى المنهاج، والوسائل التعليمية. وقد أثّرنا البحث في الوسائل التعليمية باعتبارها عنصرا من عناصر النظام التعليمي، نظرا لأهميتها في العملية التعليمية، إذ لا يتصوّر قيام هذه الأخيرة بدون وسائل يعتمد عليها. هذه الوسائل التي أصبح ينظر إليها بمنظور خاص في ظلّ الواقع التكنولوجي الحديث، لأنّها عرفت تحسينات وتطوّرات كبيرة، حتى تلبّي حاجة أقطاب العملية التعليمية (المعلّم والمتعلّم).

وأمام هذا التطوّر التكنولوجي الكبير الذي يشهده العالم اليوم، والذي ألقى بظلاله على قطاع التعليم، وأثر فيه تأثيرا مباشرا، لا سيما ما يتعلّق بالوسائل التعليمية، من حيث التجديد، وإعادة التفعيل، واستحداث نماذج إضافية.... وهذا ما نلمسه في الدّول المتقدّمة على وجه التحديد، التي تعيش موجة علمية كبيرة، حقّقت من خلالها قفزة نوعية في قطاع التعليم، على غرار تجربة سنغافورة، وماليزيا، وتركيا.... وبالنظر إلى ما باتت تفرضه تكنولوجيا التعليم حقّ لنا أن نتساءل عن واقع التعليم في المدرسة الجزائرية من ناحية الوسائل الموظّفة، لنقف على نوعها من حيث القدم والحداثة، وفعاليتها في رفع المستوى التحصيلي للمتعلّمين.

وعليه فإنّ اختيارنا لهذا الموضوع كان رغبة منّا في الإجابة عن إشكالية رئيسة تتمثّل في البحث عن واقع الوسائل التعليمية في المدرسة الجزائرية وأثارها على التّحصيل الدّراسي بالنسبة للمتعلم. هل هي وسائل تخدم متطلّبات العملية التعليمية، بما في ذلك متطلّبات الطفل المتعلّم، لا سيما في ظلّ الوضع المعرفي الراهن؟ أم أنّها بحاجة ماسّة إلى تحديث شامل وفق ما يمليه واقع العولمة؟ وللانطلاق من الواقع في معالجة الموضوع فقد وقع اختيارنا على نماذج صقيّة من المدرسة العامة وأخرى من المدرسة الخاصة، حتى نقف على نوعيّة الوسائل الموظّفة في كليهما، وهل من فارق بينهما؟ وإن كان الجواب بالإيجاب ما أثار ذاك الفارق على مستوى التّحصيل؟

وبناء على ذلك تقوم الدّراسة على فرضيّة مؤدّاها تفرّد المدرسة الجزائرية باستخدام وسائل تعليميّة تقليديّة عفا عنها الزّمن، لم تعد تلبّي متطلّبات العصر بما يميّزها من تقنيات تكنولوجيّة متطوّرة، هذا ما انعكس سلبا على مستوى التّحصيل الدّراسي لمتعلمي هذه المرحلة المهمّة. وهذا الكلام يقود لفرضيّة ثانية وهي أنّ تدني مستوى التّحصيل راجع في جزء منه لنوعيّة الوسائل التعليمية الموظّفة. ومن جهة أخرى تقوم الدّراسة على فرضيّة أخرى مفادها اختلاف نوعيّة الوسائل الموظّفة في المدرسة الجزائرية بين القطاع العام والآخر الخاص، وهو اختلاف جعل هذا الأخير يحظى بإقبال واسع في الآونة الأخيرة.

ولبحث هذا الموضوع فقد تمّ توزيع متن الدّراسة على مجموعة من العناصر الأساسية اعتمدنا في عرضها على المنهج الوصفي، لأنّه الأنسب لعرض واقع التعليم في المدرسة الجزائرية، ونوع الوسائل التعليمية الموظّفة فيها، وأثارها على التّحصيل الدّراسي. وبحكم أهمية هذا الموضوع فقد عرض له عديد الباحثين من زوايا مختلفة، قد تتقاطع أحيانا، وتنفصل أحيانا أخرى. وعليه فهناك عدّة مقالات علميّة تناولت الوسائل التعليمية وأهمّيّتها وواقعها في المدرسة الجزائرية، ولعلّ مزيّة هذا ورقتنا البحثية لا تكمن عند حدود الوصف بحكم أنّها جمعت بين التّقييم والتّقويم معا.

أولاً: تعريف الوسائل التعليمية

إنَّ الحديث هنا لا يخصَّ مصطلح الوسائل في دلالاته العامة، لأنَّه مرتبط بمجال التخصص أي التَّعليمية، وعلى هذا الأساس تتحدَّد دلالة المصطلح في «مجموع ما يستخدم في العملية التَّعليمية، بهدف نقل المعارف للمتعلم بشكل واضح، وجعله قادراً على استيعاب ما يتعلَّمه» (ميشال، 2005).

وغير بعيد عن هذا المفهوم، تعرّف كذلك بأنَّها «مجموعة أجهزة وأدوات ومواد يستخدمها المعلّم لتحسين عملية التَّعليم والتعلّم؛ بهدف توضيح المعاني وشرح الأفكار» (الطويجي ح.، 1984). هذا ويصوغ لها "أحمد حساني" مفهومين اثنين: «هي كلّ وسيلة تتدخّل لمساعدة المعلّم في تحقيق الأغراض التعليمية والبيداغوجية أثناء تعامله المباشر مع مادته من جهة، ومع المتعلّم من جهة أخرى..... هي كلّ أداة يستخدمها الأستاذ لتحسين عملية التعلّم وترقيتها، وذلك بتدريب المتعلّمين على اكتساب المهارات المختلفة، واكتساب عادات معيّنة تمثّل مرتكزا جوهرياً في العملية التعليمية» (حساني، 2009).

انطلاقاً من هذه المعطيات نخلص للقول أنّ الوسائل التعليمية هي مختلف الإمكانيات المادّية التي توظّف في التَّعليم، من أجهزة وأدوات، يستعين بها المعلّم لإنجاز دروسه وشرحها الشرح اللازم، بهدف تيسير عملية نقل المعلومات من المعلّم إلى المتعلّم، ممّا يسمح بترسيخ الفهم والاستيعاب عند المتعلّمين، وتحسين أدائهم العلمي، ورفع مستواهم، وتحقيق الهدف من العملية التعليمية. وعليه فوظيفة هذه الوسائل هو تحسين عملية التَّحصيل العلمي، ورفع كفاءات المتعلّمين، من خلال تجويد العملية التعليمية. ومادام الأمر كذلك فإنّ جودة التَّحصيل ترتبط في جزء منها بنوعية الوسائل المستخدمة في التَّعليم.

وما تجدر إليه الإشارة عند التطرق لدراسة هذا المصطلح وعرض مفاهيمه، هي المنظومة المصطلحية التي تتقاطع معه، والتي درج المشتغلون في الحقل التعليمي على توظيفها للتدليل على الوسائل التعليمية، من قبيل: وسائل الإيضاح، الوسائل البصرية، الوسائل السمعية، الوسائل المعينة، ولعلّ من أحدث مصطلحاتها مصطلح تكنولوجيا التعليم، أو تقنيات التعليم، «التي تعني علم تطبيق المعرفة في الأغراض العلمية بطريقة منظّمة» (الفريجات، 2014)، تتجاوز الطرائق التقليدية إلى استخدام الوسائل والأجهزة ذات التقنيات العلمية الحديثة. ثمّ أنّه مصطلح يمتدّ ليشمل الهيكل التَّعليمي كلّهُ التابع لقطاع التَّعليم دون تخصيص الوسائل الموظّفة في التَّعليم على وجه التَّحديد.

ثانياً: أنواع الوسائل التعليمية

لا شكّ أنّ تركيز المهتمّين بالشأن التربويّ جعلهم يعملون على ترقية الوسائل التعليمية وتطويرها بما يتناسب وحاجيات المتعلم، ففي ظلّ الزّخم المعرفي والتطوّر التكنولوجي الذي يشهده العالم في العصر الحديث عرف حقل التعليم قفزة نوعية، حيث أصبحنا نسمع اليوم بالتعليم الإلكتروني، الذي يوضع في الجهة المقابلة للتعليم التقليدي، وهذا كلّهُ أدّى إلى ظهور وسائل تعليمية حديثة، ركّزت على استحضار مختلف الحواس في العملية التعليمية، لأنّها جمعت بين الصّوت والصّورة والسّمع واللمس، ما من شأنه «نقل المعلومة أو الخبرة بصورة أكثر وضوحاً ودقّة، وأكثر جذبا وتشويقاً للمتعلّم، ممّا يكون ذلك أدعى لثبات ورسوخ هذه المعلومة أو الخبرة» (جلوب، 2017). وإنّ دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على أنّ نوعية الوسائل الموظّفة في التعليم لها تأثيرها المباشر على التحصيل العلمي، الذي يوجد بجودتها ويسوء بسوءها.

لقد عرفت الوسائل التعليمية تحسينات مستمرة، كان آخرها ارتباطها المباشر بالتكنولوجيا الحديثة، في تعدّد نماذجها التعليمية، وسرعة أدائها، وفعاليتها، وجودتها، حتى غدا المحيط الخارجي للمدرسة يشكّل تحدياً أمام مهمّة المدرسة، التي أصبحت مطالبة اليوم أكثر من أيّ وقت مضى بمواكبة الركب الحضاري.

تشمل الوسائل التعليمية أنواعا مختلفة تختلف تصنيفاتها باختلاف التقنيات المعتمدة فيها، وآليات اشتغالها، إذ منها ما هو مسموع، ومنها ما هو مرئي، ومنها الملموس.... وفيما يلي تحديد لأهم الأنواع.

1. الوسائل التعليمية البصرية أو المرئية

تعتمد هذه الوسائل على حاسة البصر، وتقوم بدرجة رئيسية على الصّور والأشكال المرئية، وتشمل: الصور الفوتوغرافية، والصّور المتحركة، والأفلام، والرّسوم التوضيحية، والمنحنيات البيانية، وعيّات الدّراسة، والخرائط، والكرات الأرضية، والسّبورات، والمجالات الحائطية....

ومن أهمّ مزايا هذا النّوع من الوسائل وتأثيره على سلوكيات المتعلّم إضافة إلى تعزيز حاسة البصر، نذكر: -ملاحظته للتغيّرات التي تحدث على الأشياء -قدرته العالية على قراءة الصّور والرّسوم والأشكال -قدرته على تصميم المشاهد التّمثيلية -قدرته على مطابقة الصّور والرّسوم والأشكال حسب تشابهها أو اختلافها -رؤيته للشّيء المتحدّث عنه يجعله مفهوما ومدركا -حديثه عن مواصفات الأشياء -استعماله للإشارات والإيماءات عند الكلام -تفسيره الصّحيح لتعبيرات الآخرين غير اللفظية.... (حمدان، 1987).

2. الوسائل التعليمية السّمعية

تشمل تسجيلات الأسطوانات، والأشرطة، ومكبر الصّوت، والإذاعة المدرسية، والمذياع... ومن أهمّ مؤثّرات هذا النّوع على سلوك المتعلّم هو تعزيز حاسة السّمع لديه، وهذا يظهر من خلال: -تفضيله سماع المعلّم خلال تعلّم المادة الدّراسية -تفضيله للتعليمات الملفوظة لفهم المطلوب -قدرته العالية على استعادة أو تكرار ما يسمعه عن الآخرين -تمييزه للأخطاء اللغوية أو المعرفية عند سماعها أكثر من قراءته لها -قدرته العالية على تذكّر الأرقام وميله للاستشهاد بها في كلامه -ميله لحلّ المسائل الرياضية لفظا تفضيله للاختبار الشّفوية -قدرته على تمييز الأشياء عند سماع صوتها -قدرته على تقليد الأصوات المحيطة به -قدرته على تمييز التغيّرات التي تحدث على الأصوات.... (حمدان، 1987).

3. الوسائل التعليمية المكتوبة

ويندرج ضمنها: المواد المطبوعة بمختلف أنواعها كالكتب المقررة، والصّحف والمجالات. ومن أهمّ آثارها على سلوك المتعلّم إضافة إلى تنمية مهارة الكتابة نذكر: -تفضيل التلميذ قراءة المطلوب أكثر من سماعه من الآخرين -قدرته على تمييز الكلمات والمصطلحات والأسماء المكتوبة -ميله لكتابة ما يسمعه -قدرته على قراءة الجداول الرّقمية وآلات الزّمن كالسّاعة -فهمه للمسائل الرياضية عند قراءتها -احتفاظه بالأرقام والإحصائيات مكتوبة.... (حمدان، 1987).

4. الوسائل التعليمية السّمعية البصريّة

هي وسائل تقوم على تفعيل حاستي السّمع والبصر معا، ومن نماذجها نذكر: الأفلام، الصّور المتحركة، التلفزيون، الحاسوب....

أمّا عن أثرها على سلوك المتعلّم فإنّه لا ينفصل عمّا سبقت الإشارة إليه، ما دامت وسائل تجمع بين ما هو سمعيّ، وما هو بصريّ.

ثالثا: أهمية الوسائل التعليمية

يرتبط استخدام الوسائل بمختلف جوانب الحياة الإنسانية، لأنّه لا يمكن الاستغناء عنها لإدارة شؤون الحياة، بما في ذلك الجانب التعليمي، حيث أدرك القائمون على هذا الجانب الدّور المعزى لها في إنجاح العملية التعليمية، إذ أصبحت جزءا لا يتجزأ من الهيكل العام للمنظومة التربوية. فلا غرابة إذن ما أصبحنا نلاحظه من أنّ جميع المؤسسات

التعليمية وعلى اختلاف مستوياتها أصبحت توجّه عنايتها لتوفير الوسائل اللازمة في التعليم، مع الحرص على ضرورة استخدامها والاستفادة منها في التدريس، لا سيما المؤسسات الخاصة، أين غدا التّفاوت في اقتناء الوسائل التعليمية معياراً تصنيفياً لها، يتمّ من خلاله الحكم عليها بالتقدّم والجودة، أو التخلف والرداءة.

وإذا كانت الوسائل التعليمية تشكّل مختلف الوسائط التي يستعين بها المعلم في ممارسة التعليم، فإنّها تضطلع بدورين مهمّين، ما يتعلّق بالكيف، أي بكيفية تقديم المحتوى التعليمي، ثم ما يتعلّق بالكم، أي بجانب التحصيل العلمي لدى المتعلّم. ثم أنّ أهمّيّتها تكمن من خلال علاقاتها التأثيرية على مختلف أقطاب العملية التعليمية، من معلّم، ومتعلّم، ومحتوى تعليمي. وعلى العموم يختزل لنا مفهوم "محمّد الحيلة" أهمّيّتها، وهذا ما يظهر في قوله: هي «أجهزة وأدوات ومواد يستخدمها المعلّم لتحسين عمليّة التّعليم والتعلّم وتقدير مدّتها، وتوضيح المعاني، وشرح الأفكار، وتدريب التلاميذ المهارات، وغرس العادات الحسنة في نفوسهم، وتنمية الاتّجاهات، وعرض القيم دون أن يعتمد المدرّس على الألفاظ والرموز والأرقام، وذلك للوصول إلى الحقائق العلمية الصّحيحة، والتربية القيّمة، بسرعة وقوّة وتكلفة أقل» (الحيلة م،، 2001).

والحقيقة أنّ أهميّة الوسائل التعليمية كثيرة ومتنوّعة، يمكن اختزالها في النّقاط التالية: (جلوب، 2017).

- استثارة اهتمام المتعلّم نحو المادة العلمية، وإشباع حاجته للتعلّم، بحكم أنّها تقدّم نماذج متنوّعة من الخبرة الحيّة، ضف إلى ذلك أنّها تشرك جميع الحواس في العملية التعليمية، ممّا يعمل على ترسيخ المعلومات، وتكوين مفاهيم سليمة.
- تنعّي حبّ الاستطلاع والرغبة في التعلّم، من منطلق كسر الروتين القائم على التلقين اللفظي، ثم أنّ لكل جديد لذّة.
- تساعد الوسائل على دمج التعلّقات، من خلال ربط الخبرات الجديدة للمتعلّم بالخبرات السّابقة، وزيادة الخبرات.
- تحسين نوعية التعليم وإثرائه ورفع مستوى الأداء، من خلال إضافة أبعاد ومؤثّرات خاصة وبرامج متميّزة، كما تنعّي قدرة المتعلّم على التأمّل ودقّة الملاحظة، واتّباع التّفكير العلمي للوصول إلى حلّ المشكلات.
- تنوع أساليب التعليم وبعث روح التجديد والابتكار، مع مواجهة الفروق الفردية بين المتعلّمين.
- استخدام الوسائل التعليمية يختزل كثيرا الوقت والجهد، ويتجاوز حدود الزّمان والمكان.
- تعين المعلّم على سدّ العجز أو القصور المعلوماتي، كما تمكّنه من التّحكّم في المادة العلمية.

انطلاقاً من تلك الأهميّة المنوطة بالوسائل التعليمية، يمكننا أن نلاحظ تأثيرها المباشر في اكتساب المهارات التعلّميّة، سواء ما تعلّق بمهارات الإدراك، والفهم والاستيعاب، ومهارة التّفكير، وزيادة التّركيز، وتعزيز القيم الاجتماعيّة المكتسبة. وعلى العموم هي أهميّة لها ارتباط وثيق بتحقيق أهداف التعليم، ممّا يجعل استخدامها «خاضعا لمبادئ التخطيط العلمي المنهجي.... وبذلك لا تنفصل الوسيلة عن الهدف أو الطريقة، ولكّنها تصبح جزءا متكاملًا مع عناصر هذا النظام تتفاعل معه بصورة ديناميكية وإيجابية» (الطويحي ح،، 1984).

رابعاً: واقع التعليم والوسائل التعليمية في المدرسة الجزائرية

ما يهمّنا في رصدنا لواقع التعليم في المدرسة الجزائرية هو الحديث عن الوسائل التعليمية التي توظّفها المدرسة الجزائرية كقطاع عام تشرف عليه الدولة.

إنّ واقع المدرسة الجزائرية الحديثة وقطاع التربية والتعليم عموماً يسير من سيء إلى أسوأ مع الأسف الشّديد، فمخرجات المنظومة التربوية تشهد تدنّياً في المستوى سنة بعد سنة، وبالتالي فإنّ شعار إصلاح المنظومة التربوية الذي تبنته الجزائر منذ مطلع سنة 2003 بعد تطبيق مبدأ المقاربة بالكفاءات، لم يؤت كُله، بل زاد الوضع تأزّماً بفعل وجود هوة كبيرة بين ما ينظر له وما يطبّق في الميدان.

والحقيقة أنّه تضاعفت عدّة أسباب جعلتنا في ذيل التّرتيب، بدءاً بالمحيط المدرسي، أو ما يطلق عليه بجماليات المدرسة، التي نراها غائبة في معظم المدارس، فضلاً عن عدم توفّر الوسائل التي تضمن جودة التعليم، وتردّي الكتب

المدرسية (حابي، 2021). ولعلّ واقع التسرب المدرسي، ومظاهر العنف اللفظي والجسدي، ونتائج التحصيل الدراسي، لهي أكبر دليل على مخرجات المدرسة الجزائرية، التي ما تزال دون الآمال المرجوة منها.

لا شك أنّ المتأمل لمختلف الوسائل المستعان بها في عملية التعليم في مدارسنا سيلحظ -بالإضافة إلى غيابها في كثير من الأحيان- أنّها تقليدية، تعود إلى وقت مضى، أو دعونا نقول بعيدة عن روح التقدم العلمي والعولمة، لأنّها من أبسط ما يمكن أن تتوقّر عليه مؤسسة تعليمية، حتى أنّنا نحن جيل الستينات أو السبعينات أو الثمانينات ما زلنا نعيش مع أبنائنا اليوم على وقع تلك الوسائل التعليمية التي درسنا بها منذ ما لا يقل عن أربعين سنة. وفيما يلي سنشير إلى أهمّ تلك الوسائل التعليمية:

1. السبورة والطباشير: التي تعتبر من أقدم وسائل التعليم، والأكثر شيوعا في المدارس. وقد تتخذ عدّة أنواع، منها الخشبية، ومنها البلاستيكية، منها السوداء، ومنها الخضراء، ومن ممّا لا يتذكر الخضراء!! وأيا كان نوع السبورة فإنّ وظيفتها واحدة، تتمثل في كتابة المعلومات والدروس عليها وشرحها.

والملاحظ أنّ هذه الوسيلة التعليمية قد رافقتنا طيلة مسيرتنا التعليمية، حتى الطّور الجامعي! والغريب في الأمر أنّها ما تزال محافظة على شكلها ولونها حتى في المرحلة الجامعية!

2. الكتب المدرسية: تمثل المادة المطلوب من المتعلّمين دراستها في الفصول الدراسية، وتساعد في تحديد الأفكار المهمة في الدروس وشرحها وتبسيطها. إنّها المؤلفات التي تحتوي على المادة البيداغوجية الموجهة للمتعلّمين، وهي تختلف في حجمها ومنتها من سنة دراسية لأخرى.

3. الرّسوم البيانية والنّماذج: يتمّ إعدادها بناء على الأفكار والمعلومات المتناولة في الدروس، وهي عبارة عن تصوير مرئيّ للمواضيع والمعلومات. يستعان بها في بعض المقررات التعليمية.

4. البطاقات التعليمية: يجري استخدامها عادة في تدريس الصفوف الابتدائية؛ حيث يتمّ استخدامها لعرض المصطلحات والكلمات المختلفة، إلى جانب الصّور التي تمثّلها. ويعدّ هذا النوع من الوسائل التعليمية ضروريّ جدا لمتعلّم المرحلة الابتدائية، لأنّه يعمل على تقديم مقابلات مرئية محسوسة لما تلقّاه من كلمات، وهذا طبعا في ظلّ غياب وسائل تعليمية إلكترونية مرئية.

5. الخرائط والأطالس ومجسم الكرة الأرضية: تستخدم عادة في تحديد المواقع المختلفة في العالم. هذا إضافة إلى الصّور الجدارية، والمسطرة والكوس والمنقلة والمدور، ممّا اعتدنا على استخدامها في مدارسنا في السنوات الماضية، ولكن مع الأسف الشديد ما تزال عدّة مدارسنا هي ذاتها، لا تقيم وزنا ولا تأبه لما وصلت له الأمم من تطوّر منقطع النّظير.

كانت هذه أهمّ الوسائل التعليمية التي يمكن أن نعثر عليها في مدارسنا، قد تقلّ طبعا وقد تزيد، حسب إمكانات كل مؤسسة تعليمية، ولكن ما تجدر إليه الإشارة في هذا الموضوع أنّ هذه الوسائل هي من أبسط ما يمكن أن تتوقّر عليه أية مؤسسة تعليمية، في الحاضرة أو في البادية. والسؤال الذي يفرض طرحه هنا ما محلّ هذه الوسائل من ترسانة الأدوات والتقنيات التي خلفتها التكنولوجيا الحديثة، وهل يمكن أن نقيس هذا بذاك؟

خامسا: الوسائل التعليمية بين المدرسة العامة والمدرسة الخاصة وآثارها على مستوى التحصيل

من الرّاجح أنّ المنافسة الشّديدة بين القطاع العام والقطاع الخاص؛ ونعني بذلك المدارس العمومية والأخرى الخاصة، وحتى المدارس الخاصة فيما بينها لجلب أكبر عدد من التلاميذ، جعل هذه الأخيرة في بحث مستمرّ عن أفضل الوسائل البيداغوجية من أجل تحسين الأداء البيداغوجي والمستوى التحصيلي، وهذا حتما سينعكس إيجابا على أداء المدرسة ومكانتها اجتماعيًا. وفي مقابل هذا السعي الحثيث من المدارس الخاصة التي تبحث دائما عن النوعية، نجد الأمر مغايرًا مع المدارس الحكومية التي لا تلقى -مع الأسف- الدّعم الكافي لتحسين منظومتها الهيكلية، ونخصّ بالذكر ما يتعلّق بالوسائل التعليمية، التي مازالت تصطبغ بصبغة التقليد والبساطة، باستثناء بعض المحاولات النوعية الفردية

للمعلمين، والتي نراها تقتصر على أقسامهم فقط، مما حوّل استحداث وسائل بيداغوجية في المدارس العامة ضرب من الاجتهاد الشخصي ليس إلّا. وفي هذا الإطار سنخصّص هذا العنصر لعرض نماذج عن الوسائل التعليمية الموظفة في عينة الدراسة.

1. عينة الدراسة:

تتكوّن عينة الدراسة من أقسام السنة الثانية ابتدائي، مدرسة أحمد نواري، حي 1000 مسكن الكاليتوس، ولاية الجزائر. وهي مدرسة حكومية، حديثة النشأة، فتحت أبوابها للتلاميذ في العام الدراسي 2021-2022م. ومدرسة حامد خليفاتي الكائن مقرها ببلدية الكاليتوس كذلك. أما المدرسة الثانية التي تمثّل القطاع الخاص فهي مدرسة عصفير الجنة للطور الابتدائي والمتوسط والثانوي، وهي من أقدم المدارس الخاصة في بلدية الكاليتوس. فتحت أبوابها أمام التلاميذ منذ سنوات. وقد وقع اختيارنا على تلاميذ السنة الثانية تحديدا بحكم أنها سنة تعليمية حساسة بالنسبة للمتعلم، تبنى عليها جملة التعلّقات اللاحقة، ثم أنّ المتعلّم فيها بحكم سنّه الصّغير ومكتسباته البسيطة، فهو بحاجة ماسة إلى توظيف وسائل تعليمية متنوعة وجذابة، تشدّ حواسه جميعا، وتلبّي حاجاته المعرفية، وتبني تعلّماته بناء سليما ومتكاملا، وفوق كلّ ذلك توقّر له المتعة اللازمة، حتى يتحقّق لنا ما يسمّى بالتعليم بالمتعة.

2. الوسائل التعليمية الموظفة في المدرسة العامة

بالنسبة لابتدائية "أحمد نواري" هي ابتدائية حديثة النشأة، فتحت أبوابها أمام التلاميذ منذ سنتين فقط، ولهذا فهي مدرسة ذات هياكل بيداغوجية جديدة، تحتوي على قسمين لكل سنة دراسية. الشّيء الملاحظ أنّ المدرسة بنيت داخل الحي السكّني 1000 مسكن، ولكنّها كانت تستقطب التلاميذ من خارج الحي؛ بحيث حوّل لها التلاميذ الذين كانوا يتمدرسون في مدرسة "حامد خليفاتي" بعدما أعيد هدم هذه الأخيرة وتشيدها من جديد، لماذا نقدّم هذه المعطيات نقدّمها حتى نصل إلى نتيجة مفادها أنّ المدرسة كانت تشهد اكتظاظا كبيرا للتلاميذ، الذين فاق عددهم في القسم الواحد 45 تلميذا، وحتى 50 تلميذا أحيانا أخرى.

لا يخرج مفهوم الوسائل التعليمية عن مجموع الأجهزة والأدوات التي يستعملها المدرّس في عملية التدريس. إنّها مجموع الإمكانيات المادية التي يوظّفها المعلّم لتحسين العملية التعليمية، وأداء نشاطه وتبسيط المعلومات بهدف تحقيق غاية الإفهام، والفهم. وإذا كانت جودة التّعليم في عمومها مرتبطة بنوعية الوسائل الموظفة، جاز لنا في هذا السياق أن نتساءل عن نوعية الوسائل التعليمية الموظفة في المدرسة الحكومية، ما طبيعتها؟ وما تأثيرها على العملية التعليمية؟

إطلالة متأنية على واقع المدرسة العمومية من ناحية الوسائل التعليمية الموظفة فيها تجعلنا نعيش واقعا تعليميا سيئا بمختلف المعايير، من قدم الهياكل البيداغوجية، إلى قدم التّجهيزات والمعدّات التي تتوقّر عليها المدارس، إلى قدم الوسائل التعليمية الموظفة، وأية وسائل؟؟ وسائل لا تسمن ولا تغني عن نهم علمي. وحتى وإن كانت الهياكل جديدة مثلما هو الحال مع مدرسة "أحمد نواري" التي فتحت أبوابها أمام التلاميذ منذ سنتين فقط (منذ 2021م)، ومدرسة "حامد خليفاتي" التي أعيد إنشاؤها من جديد (2023-2024م) بعدما كانت جدّ مهترئة وتنعدم فيها أدنى شروط السلامة والتّهيئة، نقول حتى وإن كانت الهياكل جديدة لكنّها مع الأسف الشّديد لا تتوقّر على الإمكانيات المادية التعليمية الضرورية، التي تجعل منها مواكبة لحدّات البناء.

إنّ كلّ ما نعرّض عليه من وسائل في هاتين المدرستين والحال يكاد يكون نفسه مع مدارس القطاع العامّ، السّبورات والأقلام والكتب المدرسية، وبعض الصّور والملصقات التي تبقى حكرًا على بعض المعلمين دون البعض الآخر، والأمر في ذلك يعتمد على طاقة الاجتهاد. ومع أنّ تلميذ السنة الثانية ابتدائي بحاجة ماسة إلى توظيف حواسه في العملية التعليمية إلّا أنّنا مع الأسف لا نعرّض على توظيف لوسائل تعليمية من شأنها تلبية أنماط الشخصية المعروفة، النمط البصري والسمعي والحسيّ، ممّا انعكس سلبا على مردود التّحصيل؛ إذ الملاحظ أنّ نسبة قليلة من التلاميذ هي التي تحصّل فهم

الدّروس، وتتفاعل بطريقة إيجابية مع المعلّم، وبخاصة التّلاميذ الذين يحضون بمتابعة من طرف الأولياء، أما البقية الذين يشكّلون الأغلبية فمعظمهم لا يحسن الكتابة أو بالأحرى الإملاء، كما أنّهم لا يحسنون القراءة بطريقة سليمة لأنّهم لا يميّزون بين بعض الحروف المتشابهة في الرّسم، لذلك وجدنا أنّ بعضهم يخضع لتدريبات تحسين المستوى، وبعضهم يخضع لدروس خصوصية في هذه السنّ المبكّرة.

أمّا النّشاطات التّرفيهية أو التّعليمية التّرفيهية فلا مجال لذكرها أمام حجرات تدريس مكتظة، ومن خلال محاورتنا لمعلمات أقسام السّنة الثّانية استنتجنا مدى تدمّرهم من مسألة الاكتظاظ، التي تشكّل عائقا أمام الأداء الحسن لهم في شرح الدّروس بطريقة مريحة بعيدا عن الفوضى والانصراف بين كلّ لحظة وأخرى لطلب الهدوء والكفّ عن الإزعاج. كما أنّ مسألة الاكتظاظ بالنّسبة لهم تحوّل دون إفهام التّلاميذ الذين لم يستوعبوا فكرة ما واحدا واحدا، بحجّة أنّ ساعة أو أقلّ من الزّمن للحصة الواحدة غير كافية لعمل جولة استطلاعية على جميع التّلاميذ داخل الصّف.

إنّ وضع مزر مع الأسف، فهذه الكيفية لا يمكن للتلميذ الضّعيف أن يتفوّق، خاصة إذا تجاذبته ملهيات الحياة الكثيرة، وظلّ بعيدا عن المتابعة المستمرة للوالدين.

3. الوسائل التّعليمية الموظّفة في المدرسة الخاصة

نعثر في مدرسة عصافير الجنّة الخاصة وتحديدًا مع تلاميذ السّنة الثّانية، على استخدام وسائل تعليمية متنوّعة، تعمل على استحضار مختلف الحواس في العملية التّعليمية، لأنّها تجمع بين الصّوت والصّورة، وبين السّمع واللمس. وفيما يلي سنعرض لمختلف تلك الوسائل:

3.1 الوسائل التّعليمية البصرية:

تقوم أساسا على اعتماد حاسة البصر في التّعليم، ولها أهمية كبيرة؛ لأنّ "الرّسم والصّورة توضّح ما لا توضّح الكتابة وحدها أحيانا، ويتوافر عن طريقها الأساس الماديّ المحسوس للتفكير وتقلّل من أخطاء التعلّم اللفظي، فضلا عن أنّها تثير اهتمام الطّلاب، وتجعل الخبرات باقية الأثر" (زاير، 2014) ولعلّ من أبسط الوسائل التي عثرنا عليها في المدرسة، السّبورة، وتشكيلة متنوّعة من الصّور المعروضة على جدران القسم كنوع من أنواع الزّينة، كونها بأشكال وألوان زاهية وأحجام مختلفة، منها ما يخصّ مادة الرياضيات، ومنها ما يخصّ مادة اللّغة العربيّة، ومنها ما يخصّ التّربية الإسلامية والمدنيّة، ومنها ما يخصّ مادة الفرنسيّة..... والحقيقة أنّ مهمّتها تتجاوز الزّينة إلى ترسيخ المعلومة في ذهن المتعلّم، بحكم احتكاكه دائما بها خاصة وأنّ التّلاميذ مطالبون بتريدها بصورة جماعية كلّما سمحت الفرصة بذلك.



ومن الوسائل المرئية التي نعثر عليها ما يتعلّق بالأشكال الهندسيّة الرياضيّة كالمرّبع والمثلث والدائرة والمستطيل والمعين والمكعب والبلاطة القائمة والأسطوانة، وهي ذاتها الأشكال المقرّرة على تلاميذ السّنة الثّانية، والجميل في الأمر أنّ التّلاميذ هم من يقومون بصنع هذه الأشكال.



وفي مستوى متقدّم كذلك نعثّر على توظيف الصّور المتحرّكة من خلال جهاز العرض الحائطيّ، أو بتوظيف الواقع الافتراضي، سواء في حصّة المطالعة، أو في حصّة فهم المنطوق، وهي وسيلة تعليميّة يحبّها كثيرا التّلاميذ ويتفاعلون معها. وبالموازاة مع ذلك تعرض عليهم مقاطع الفيديو الخاصة بالقصص التّربويّة التّرفيهيّة أو السّور والأناشيد التي يطلب منهم حفظها، وكذلك بعض الدّروس التي تتعلّق بالمقرّر الدّراسي. وفيما يخص هذه الوسائل فهي تندرج ضمن الوسائل السّمعيّة البصريّة، التي تعمل على تنمية حاسّي السّمع والبصر معا، لذلك يستمتع التّلاميذ كثيرا بها في هذه المرحلة العمرية الأولى.



علاوة على ذلك يحظى تلاميذ السّنة الثانية بغرف صفيّة افتراضيّة، في مختلف المواد التي يدرسونها (العربيّة، والفرنسيّة، والإنجليزيّة)، تقدّم لهم من خلالها الواجبات، أو مطالبتهم بتحضير درس معيّن، أو حفظ سور وأناشيد معيّنة، كما ترسل من خلالها كذلك الفيديوهات التّوضيحيّة لبعض الدّروس المقرّرة على التّلاميذ، ممّا يساعدهم على التّحضير المسبق للدرس، أو الاستيعاب الجيّد له.

والملاحظ كذلك في مدرسة عصافير الجنّة الخاصّة، مع تلاميذ السّنة الثانية، أنّ المعلّمت لا تقمن بتقديم الدّروس (خاصة اللّغة العربيّة والرياضيات) بالاعتماد على الكتب والسّبورة، بل هناك توظيف لعدّة إستراتيجيات تعليميّة. هذه الأخيرة التي ينظر إليها على أنّها مجموعة الإجراءات والوسائل التي يستخدمها المعلّم، ويؤدّي استخدامها إلى تمكين المتعلّمين من الاستفادة من الخبرات التّعليميّة المخطّطة، وبلوغ الأهداف التّربويّة المنشودة. وعلى هذا الأساس فإنّ إستراتيجيات التّعليم قد تختلف باختلاف الغايات والطّروف المحيطة بالعملية التّعليميّة.

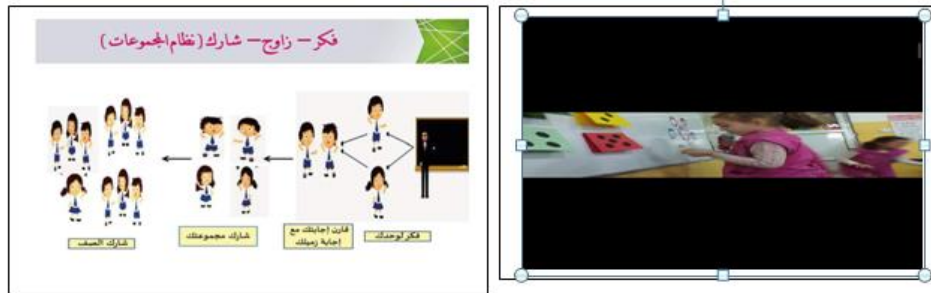
توظّف معلّمت السّنة الثانية في مدرسة عصافير الجنّة أنواعا مختلفة من الإستراتيجيات التّعليميّة، مثل إستراتيجيّة كأس العالم؛ التي تستعمل لتقييم المكتسبات في آخر الدّرس، وهي عبارة عن إستراتيجيّة تنافسيّة بين التّلاميذ، تقوم على طرح أسئلة بين ندين، كلّما كان الجواب صحيحا تقدّم التّلميذ نجو الشّبكة وأحرز هدفا، وفي نهاية المطاف تجمع الأهداف ويكون الفوز بالكأس. فالتّعليم من خلالها يكون من خلال التّلاميذ أنفسهم لأنهم يتعلّمون من بعضهم البعض.

توجد أيضا إستراتيجيّة بائع الشّاي التي قالت عنها المعلّمت أنّها توظّف لعدّة أغراض، مثل طرح الأسئلة الخاصّة بالقواعد، كشرح مفردات الأضداد، وأسئلة الفهم، أو الإعراب.... ولا غرابة عندما نقول الإعراب، لأننا صادفنا تعلّم

تلاميذ أقسام السّنة الثّانية لأوليات الإعراب (إعراب الفعل الماضي والمضارع والأمر، الفاعل، المفعول به، حروف الجر، الاسم المجرور....).



وهناك إستراتيجية النّرد التي توظّفها المعلّّمت في فهم المنطوق والقراءة واختبار مستوى الاستيعاب، لأنّها تقوم على طرح أسئلة حول الدّرس عن طريق اللّعب. وإستراتيجية عربات القطار التي تستعمل في ترتيب جمل لتكوين فقرة، وإستراتيجية فكّر زواج واربح، التي توظّف في الأنشطة التّطبيقية، تقوم على العمل الفرديّ، ثمّ الثنائيّ، ثمّ الجماعيّ.



تشكّل مجموع هذه الإستراتيجيات وغيرها كثير طرائق تعليمية، تستغلها المعلّّمت في اختبار مدى فهم التّلاميذ، خاصة وأنّها تقوم على صنع جوّ من المنافسة والحماسة بينهم، كما أنّها تقوم على توظيف المكتسبات، ومعرفة مدى تحكّم التّلميذ في ذاك التّوظيف، كما تسمح للتّلميذ كذلك بالتعرّف على أخطائه وتصويبها، والغاية من كلّ ذلك إيصال المعلومة بطريقة ترفيهية تجمع بين المتعة والتّعليم، تقول عنها إحدى المعلّّمت: تسهّل العملية التّعليمية، وتربّحك الوقت، لأنّ التّلميذ يفهم في وقت قصير.

3. 2 الوسائل التّعليمية السّمعية:

لعلّ من أكثر الوسائل التّعليمية التي استرعت انتباهنا في مدرسة عصافير الجّنة الخاصّة بالإذاعة المدرسية، نظرا للدور الكبير الذي تلعبه من ناحية البناء المعرفي والروحي بالنّسبة للمتعلم؛ حيث تعمل على تكوين معارفه وصقل مواهبه في العرض والإلقاء، وتفكّ عنده عقدة مواجهة الآخرين ومخاطبة الجمهور، كما أنّها تعزّز ثقته بنفسه، وتزيده فصاحة وجرأة، وتجعله أكثر ديناميّة للتفاعل مع الآخرين، كما أنّها تعزّز ملكة السّماع لديه. وفوق كلّ هذا وذاك تعمل الإذاعة المدرسية على تفتيق ملكة بعض التّلاميذ، الذين كشفت الإذاعة عن مهاراتهم في الإلقاء.

ومن الوسائل الأخرى التي ترافق نشاطات التّلاميذ مكبّر الصّوت، الذي نراه حاضرا في تنشيط الدّروس من طرف التّلاميذ، وقد حظي تلاميذ قسم السّنة الثّانية بفرص تنشيط بثّ مسجّل بعنوان "أخبار القسم"، وفيه يقوم تلميذ بدور الصّحافيّ الذي يتواصل مع زميله في الأسطوديو المركزي ليطلعه على أخبار القسم الذي يتواجد فيه، وهو يتجول بين الصّفوف، ويحاور زملاءه، ويسألهم ماذا يفعلون..... وهي طريقة مثمرة لا تختلف غاياتها عن الإذاعة المدرسية.

هذا كما تستعين معلّّمت أقسام السّنة الثّانية بجهاز المذياع لبثّ الأناشيد في أوقات الفراغ، سواء الأناشيد المبرمجة على التّلاميذ للحفظ، أو الأناشيد التي يتمّ التّحضير لها لعرضها في المناسبات. وأحيانا أخرى يحظى التّلاميذ بشبه دروس تكون من إلقاء مقتصد المكتبة، بالاستعانة بجهاز العرض، يشرح لهم محتوى الفيديوهات، والمغزى من

عرضه، وهذه الدروس نراها تتعلق بسيرة المصطفى عليه السلام، أو بصحابته الأخيار، كما تتعلق كذلك بشهداء ثورة التحرير.

3.3 الوسائل التعليمية المكتوبة:

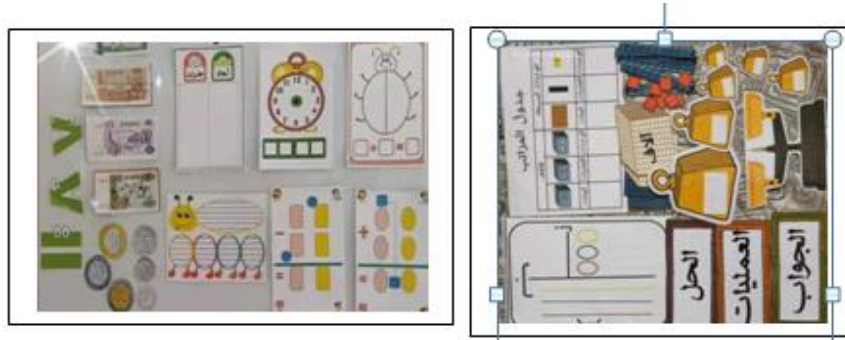
هي وسائل نراها توظف بشكل مكثف في مدرسة عسافير الجنة، ويندرج ضمنها الكتب المطبوعة، المقررة على التلاميذ من طرف وزارة التربية، أو الكتب الخارجية المضافة إلى لائحة الكتب المقررة على تلاميذ المدرسة الخاصة، وكذلك القصص المكتملة للكتب الخارجية، التي تقدم لهم في شكل سلسلة مع الكتب، وتظهر أهميتها في تعويد التلميذ في هذه المرحلة المهمة على المطالعة، واكتساب زاد لغوي يمكنه من المحادثة والكتابة باللغات الأجنبية.

ومن الوسائل التعليمية المكتوبة المطبوعات الخاصة بالتمارين والواجبات المنزلية، أو القصص والنصوص المطلوبة للتحليل، أو رسومات للتلوين، ويأخذ هذا الصنف من الوسائل طابع التعليم والترفيه معا.

وهناك وسيلة أخرى لا يمكن للمعلم أن يستغني عنها وهي دفتر المرافق، الذي يستعين به التلاميذ يوميا في أنشطة مادة الرياضيات، فهو دفتر من صنع المعلم، يحتوي على عدة صفحات عليها رسومات لعمليات حسابية (جمع وطرح وقسمة وجداء)، وتعليم الساعة مطبوعة ومغلقة حراريا، حتى تيسر الكتابة عليها ومحوها، ثم أنه دفتر قابل لإضافة أوراق أخرى خاصة مثلا بجدول الساعات والتحويل، مما يرافق التلميذ في كل مرحلة تعليمية.



ومن الأشكال الأخرى لهذا النوع من الوسائل نذكر القصصات بمختلف أشكالها، وأحجامها، وألوانها، ووظائفها، وهي قصصات تندرج ضمن وسائل التعلم النشط، وهي وسيلة مهمة جدا في الإنتاج الشفوي والكتابي، لأن التلاميذ يستندون إلى القصصات الخاصة بالكلمات أسماء وأفعالا وحروفا لتكوين جمل وقراءتها، أو تحديد مقاطع الكلمات، أو أجزاء الجمل ومكوناتها.



إن توظيف هذه الوسائل المختلفة في العملية التعليمية لا يعزى إلى المجهود الفردي للمعلمين، بل هو بمساهمة المدرسة كذلك، التي تراعي دائما النوعية والجودة في مستوى التعليم والتحصيل، مما يعود عليها بالفائدة، وهذا ما لا يخفى علينا، ولكن ما نلفت إليه أن مهمة المعلم تتجاوز حدود التعليم في إطار ما هو متاح، إلى استحداث وسائل وأدوات معينة، يراها جديرة بأن توظف لتقديم درس من الدروس، وهنا تظهر براعته وكفاءته في إيجاد أو البحث الدائم عن

وسائل جديدة. وفي هذا السياق نشير إلى مجهودات المعلّمة (مدادي أ) التي نراها تفاجئنا في كلّ مرّة بوسائل تعليميّة جديدة، بقدر ما هي ثمرة في التّعليم بقدر ما هي ممتعة.

ويظهر أثر التّوظيف المستمر لتلك الوسائل المتنوّعة في حصيلة معرفيّة ممتازة للتلاميذ، وليس أدلّ على ذلك من أنّ التّلاميذ يخرجون من المدرسة ولا نبالغ إن قلنا معظمهم أو كلّهم فاهم لدرسه، مستوعب له، بل حافظ له، ونقول ذلك عن تجارب شخصيّة مع التّلاميذ.

وقد أشرنا في موضع سابق إلى أنّ مكانة المؤسّسة التّعليميّة ولا سيما المدارس الخاصّة مرهون بما توفّره لتلاميذها من وسائل معيّنة في التّعليم، ما دامت تعتدّ بالتنوّع على حساب الكمّ. وما دامت تحت الخوصصة فهي تسعى دوما لعقد المنافسة مع بعضها البعض من جهة، أو مع مؤسّسات القطاع العامّ من جهة أخرى.

بما أنّ أنماط الشّخصيّة تختلف بين الشّخص البصريّ والسّمعيّ والحسيّ، فإنّ تنوّع الوسائل التّعليميّة التي نعثر عليها في المدرسة الخاصّة نراه يلبيّ مختلف تلك الأنماط.

3.4 الوسائل التّعليميّة الحسيّة الحركيّة:

مما عثرنا عليه في المدرسة الخاصّة، ويتمّ تفعيلها مع تلاميذ السّنة الثّانية، تنظيم ورشات لنشاطات جماعيّة، منها الورشات التّعليميّة التي تعنى بإعداد تجارب متعلّقة بدروس مقرّرة على التّلاميذ، مثل تجربة الدّوبان والتّجميد والغليان، وتجربة الصّلب والسّائل، وتجربة الأجسام التي تطفو والتي تغوص.... وتجارب أخرى تتعلّق بالتعرّف على الحواس. يضاف إلى ذلك القيام بألعاب ترفهيّة تثقيفيّة تعتمد على المتعة والتّعليم، لا سيما ما يتعلّق بدروس الرياضيات، مثل تبسيط دروس الجمع والطّرح والتّصف والضعف من خلال ألعاب ترفهيّة داخل القسم أو في السّاحة.



ومن الوسائل التّعليميّة الممتعة كذلك القيام بجولات استطلاعيّة خارج المؤسّسة، للاحتكاك المباشر مع مصادر المعرفة، مثل زيارة التّلاميذ لمحميّة الرّعاية، ومتحف المجاهد، ومقرّ الإذاعة والتلفزيون، والميناء.... ناهيك عن الجولات التّرفهيّة خارج المؤسّسة بين الحين والآخر، والغاية تحفيز وتنشيط التّلاميذ، وصنع جوّ من المتعة والتّرفيه، لا سيما بعد فترة الامتحانات.

ومن النّشاطات الأخرى الموظّفة داخل المدرسة وعند أقسام السّنة الثّانية المسابقات العلميّة بين الأقسام، وحتى بين تلاميذ القسم الواحد، الذين يتمّ تقسيمهم إلى مجموعات، يطلق على كلّ واحدة منها اسما مميّزا، معبّرا، وموحيا، مثل فريق الطّموح، فريق العطاء، فريق التحدي....



أردنا أن نختم الصّور المنشورة بصور نهاية السّنة لتلاميذ السّنة الثّانية وهم بزّي التّخرّج، في مظهر جميل ومعبر، خاصة وأنّ القسم الذي التقطت له الصّورة يسمّى بقسم "قصّة نجاح رّواد المستقبل":



وللإشارة فقط فإنّ ما تمّت الإشارة إليه من إستراتيجيات وما قدّمناه من صور هو نزر قليل جدا مقارنة بما تتمّ الاستعانة به في المدرسة، إذ لا يمكن إحصاؤها جميعا لضيق المقام. وعليه يمكن للقارئ الكريم العودة إلى صفحة المدرسة على الفيسبوك (École Privée Oiseaux du Paradis. Eucalyptus) للاطلاع على مختلف الصّور والفيديوهات الخاصة بأنشطة التلاميذ.

وفي ختام هذه المعطيات قد يعتقد البعض أنّنا ننحصر للمدرسة الخاصة على حساب المدرسة العامّة، وأنّنا نؤاخر تلك على حساب هذه، ولكنّا في الحقيقة نؤاخر مصلحة أبنائنا، التي نضعها فوق كلّ اعتبار؛ فحيثما وجد التلميذ راحته الجسميّة والنفسية، والمعرفيّة، فذاك غاية المطلوب. ثمّ أنّ غايتنا لا تخرج عن إطار الإشارة إلى الواقع البئيس الذي مازالت تعيشه المدرسة الجزائريّة ونحن في الألفية الثالثة، إذ لا مجال لمقارنتها مع ما تشهده بعض المدارس حول العالم من طفرة تكنولوجيّة هائلة، أعيد فيها الاعتبار لهذه المرحلة العمرية المهمّة في التّعليم، بحكم أنّ المراحل التّعليميّة اللاحقة مبنية عليها. ثمّ أنّه لا مجال لمقارنتها كذلك مع المدارس الخاصة التي استطاعت أن ترتقي بمستوى الأداء كونها في تحسّن مستمرّ، فالاختلاف بينهما ظاهر للعيان، ممّا يفرض على المسؤولين على قطاع التّربية والتّعليم في الجزائر إعادة النّظر بجديّة تامّة في منظومة التّعليم ومعاينة واقع المدرسة، علّنا نصل للحديث عن مدرسة نموذجيّة تراعى فيها مختلف عناصر العمليّة التّعليميّة.

ومن أجل تمثّل اختبار المستوى التّحصيلي بين تلاميذ المدرسة العامّة وتلاميذ المدرسة الخاصة قمنا بأخذ عيّنة من تلاميذ كلّ مدرسة، وقدّمنا لهم مجموعة من النّشاطات في مادتي اللّغة العربيّة والرياضيات، فكان ما توقعناه من تفوّق ظاهر لتلاميذ المدرسة الخاصة. هذا لا يعني أنّ المدرسة الخاصة قد استطاعت أن تسدّ مختلف ثغرات التّعليم بما توفّر لها من وسائل تعليميّة، لأنّها بحاجة مستمرة إلى إضافة تحسينات مستمرة، تلبيّ متطلبات المتعلّم، وبخاصة ما له علاقة بالتكنولوجيا.

سادسا: رهانات العولمة بالنسبة للمدرسة الجزائرية

إذا كانت الوسائل التعليمية ركنا هاما من أركان العملية التعليمية فإنّ إيلاءها مزيدا من الأهمية، من خلال تحديثها أصبح واقعا يفرض نفسه استجابة لمتطلّبات الحياة الاجتماعية، وما تفرضه تحدّيات العولمة؛ حيث استطاعت تكنولوجيا التعليم تغيير سبل المعرفة. وبالتالي ف«إنّ التحدّيات التي يواجهها العالم اليوم والتّغيير السّريع الذي طرأ على جميع نواحي الحياة...يجعل من الضروري على المؤسّسات التعليمية أن تأخذ بوسائل التعليم الحديثة لتحقيق أهدافها ومواجهة هذه التحدّيات» (الطويجي ح.، 1978، صفحة 05).

لا خيار أمام المدرسة الجزائرية نحو التوجّه صوب تحديث آليات التعليم، قصد تحسين التعلّم والتعليم معا، وتخفيف العبء على المعلّم أمام ضغط كثافة البرامج التعليمية، وضيق الوقت، واكتظاظ الأقسام، ما من شأنه توفير فرص التعلّم الذاتي، وتدعيم الخبرات، وتحقيق التفاعل الإيجابي بين المتعلّم والمحتوى التعليمي. وفي هذا الإطار نوّكد

على تفاوت قدرات المتعلمين هذا من جهة، ومن جهة أخرى نوّكد على اختلاف نمط الشّخصية، بحيث إذا كان الشخص ذو طبيعة سمعية فإنّ طريقة التلقين مثلاً قد تناسبه، في حين أنّه إذا كان الشخص ذو طبيعة بصرية أو حسّية، فإنّ طريقة التلقين لن تجدي نفعاً معه، لأنّه بحاجة إلى التمثيل الحسّي عن طريق الرؤية أو اللمس، وهذا ما يمكن أن توقّره الوسائل التعليمية الحديثة، وما يمكن أن يوقّره كذلك التنوع في استخدامها.

والقول بهذه الفكرة الأخيرة يفرض على المعلمين اختيار الوسائل التعليمية التي تتوافق ونمط الشّخصية لدى المتعلمين، ما من شأنه احتواء الجميع دون إقصاء أو تهميش.

وإذا كان التنوع في وسائل التعليم خاضع لعدّة عوامل، منها ما يتعلّق بالأهداف التعليمية، واختلاف المحتوى التعليمي، وكذا اختلاف قدرات المتعلمين، مع اختلاف التكوين العلمي والأكاديمي للمعلمين، ومدى حيّازة المؤسسة التعليمية للوسائل (شقلب و البركي، 2021، صفحة 118)، فإنّ ما نعرّ عليه في مدارسنا -مع الأسف- لا يتجاوز الاستخدام التقليدي لوسائل عفا عنها الزمن، التي تظلّ دون التأثير الإيجابي المرغوب فيه، ممّا تقتضيه العملية التعليمية، وهذا بحكم التقليدية من جهة، وغياب المنهجية النظامية المعلومة في استغلال الوسائل، في ظلّ افتقاد ثقافة توظيفها.

إنّنا اليوم أمام واقع تعليم تقليديّ يطبع المدرسة الجزائرية، وواقع تعليم إلكترونيّ يبقى طموح الغدّ، وأمام هذا وذاك هل يمكن أن تحقّق المدرسة الجزائرية تقدّمًا تضاهي به حركة التّعليم المتقدّم عالمياً، بما تحوزه من إمكانيات بسيطة؟ هل يمكن الاكتفاء بسبورة وطباشير وكتب لا تغني عن جهل لصنع جيل واعد؟ هنا قد يعترض معترض ويقول إنّها ذاتها الوسائل التي صنعت أسماء لامعة ما تزال تذكر على امتداد تاريخ الجزائر العريق، وهذا لا ينكره عقل عاقل، ولكن هل عاش هؤلاء في زمن شبيه بزماننا؟ طبعاً لا وقطعاً لا، لأنّهم ولدوا وعاشوا في زمن يختلف كليّة عن زماننا. هل يمكن لطفل فتح عينيه على الشاشات الزرقاء بأنواعها المختلفة أن يرضى التعلّم بتلك الأدوات البسيطة، التي لا تشبع نهمة ورغبته في اختراق الواقع وتجاوزه أحياناً، في سبيل تمثّل المجرّد، وملامسة البعيد، أو الخفيّ. وعلى هذا الأساس فمن مزايا الوسائل التعليمية الحديثة «تعدّد مصادر المعرفة من خلال التقنيات الحديثة التي لا تعتمد على الكتاب المدرسي فقط في نقل المادة العلمية، بل تعتمد على مصادر أخرى كثيرة، تقدّم المعارف في أماكن وجود الطّلاب، حتى يتفاعلوا مع هذه المصادر وفق الطريقة التي تناسب قدراتهم وتلبي حاجاتهم المختلفة» (لافي، 2012، صفحة 259). وهذا ما أصبح يبحث عنه متعلّم اليوم.

طفل اليوم أو متعلّم اليوم الذي أصبح مشدود الانتباه لكلّ ما هو مشوّق وجذاب وبعيد عن الرّتابة، إنّّه يبحث في المدرسة عن واقع شبيه بالواقع خارج المدرسة، والذي لا يمكن أن يعثر عليه في تلك الوسائل البسيطة البعيدة عن كلّ جذب ولفت انتباه، إنّّه يبحث عن المؤثرات الصوتية، والبصرية، وعن الرّسوم والألوان، والحركات.... إنّّه يبحث عمّا يشبع فضوله العلمي. هذا هو طفل اليوم الذي أصبح له هوس في التّعامل مع كلّ ما هو إلكترونيّ ذو شاشة زرقاء!!

سابعاً: عوائق استخدام الوسائل التعليمية الاستخدام الأمثل

لقد اجتهد الباحث "محمد محمود الحيلة" في تعداد أهمّ المعوّقات التي تحول دون التنوع في توظيف الوسائل التعليمية بأنواعها المتعدّدة، وأشكالها المختلفة. وبما أنّ وضع المدرسة الجزائرية ليس بأفضل من وضع المدرسة في كثير من الدّول العربية، فإنّ ما ذكره الباحث من معوّقات نراه ينطبق على مدارسنا، ويمكن للقارئ الكريم تمثّل ما نقول: (الحيلة م، 2001، صفحة 155)

-ما يعيق المعلّم في حدّ ذاته من صعوبة التخلّص من استعمال الأسلوب التلقينيّ التقليديّ في التّعليم، بحكم العادة طبعاً، وما ترسّخ في فكره. والمعلوم أنّ هذا الأسلوب وإن كان مجدياً أحياناً، إلّا أنّه غير مجد في أحيان أخرى.

-الحجم الساعي المكثّف الذي يخضع له المتعلّمون طيلة اليوم يعيق الاستخدام الأمثل للتقنيات، لأنّ المسألة في مدارسنا مسألة كمّ لا كيف. فكثافة البرامج التعليمية، وضيق الوقت المخصص لكلّ حصّة أو كلّ مادة ضيق الخناق أمام المعلّمين.

- غياب توقيت زمني مخصص للتدريب على آلية توظيف الوسائل التعليمية، بما فيها تكنولوجيا التعليم، مع ما يرافقه من عدم تكوين المعلمين عمليا لاستخدام تلك الوسائل.
- غياب تصميم فعليّ للدروس تجعل من الوسائل التعليمية جزءا مكتملا للدّرس.
- الهياكل المدرسية في شكلها القديم لا تسمح باستيعاب واستخدام أنواع كثيرة من الوسائل التعليمية، التي تقتضي الاستعانة بهياكل معينة تيسر استخدامها.
- اكتظاظ حجرات التدريس يحول دون تمكين المتعلمين من التدرب على استخدام الوسائل الحديثة، خاصة وأنّ عناية المعلم تظلّ مشدودة نحو ضبط السير الحسن للدروس.
- هناك عائق آخر إداريّ يتعلّق بتملّص الإدارة من مسؤولية اقتناء وصيانة الأجهزة، نظرا لما تتطلبه من أموال.
- عائق ماديّ تعاني منه مختلف المدارس يتعلّق بعدم تخصيص ميزانية معينة لاقتناء الوسائل الحديثة، بحكم تكاليفها الباهضة أحيانا، أو عجز ميزانية المدارس عن اقتنائها، أو بالأحرى اقتناء الأجود منها.
- يضاف إلى ذلك كلّ عوائق أخرى، نذكر منها:
- عدم إلمام المعلمين بالأجهزة الحديثة وكيفية استخدامها، أمام غياب التكوين أو التّأهيل المهنيّ اللازم. يضاف إلى ذلك غياب ثقافة إلكترونية عند أغلب المعلمين، ونخصّ بالذكر هنا الجيل القديم منهم، ممّا نراه يحول دون تقبّل توظيف الوسائل التّعليمية الحديثة، أو توظيفها التّوظيف الأمثل.
- مشكل تدفّق الإنترنت في المدارس النائية يحول دون عصرنتها.
- غياب ثقافة عصرنة القطاع لا سيما عند أصحاب الفكر التّراثي، الذين نراهم يعتنون بفكرة الكمّ المعلوماتي على حساب الكيف المعلوماتي.
- وهكذا فإنّ لتوظيف التقنيات الحديثة في التّعليم معوقات تحول دون الاستثمار الأمثل لها، وما ينجّر عن ذلك من مخلفات تؤثر حتما بالسلب على مخرجات العملية التّعليمية.

خاتمة:

بعد قطاع التعليم من القطاعات الحيوية في أية دولة بالنظر إلى مخرجاته، لا سيما التعليم في المرحلة الابتدائية؛ باعتبارها مرحلة أولية مهمة في المسار التعليمي، بل إنّها المرحلة الممهدة التي تبنى عليها المراحل التعليمية اللاحقة، وعلى هذا الأساس تولي الحكومات والدول مزيد عناية لهذه المرحلة التعليمية، بالنظر إلى مخرجاتها. وأمام هذه الحقيقة الثابتة يأتي الحديث عن المدرسة الجزائرية التي ما تزال تقبع في الظلام، تنتظر المهديّ المخلص، علّه يأخذ بيدها إلى برّ الأمان.

إنّ الحديث عن واقع التعليم في المدرسة الجزائرية هو حديث يمتدّ ليشمل مختلف عناصر العملية التعليمية؛ من معلّم ومتعلّم ومحتوى تعليمي ووسائل تعليمية.... وقد تناولنا في هذه الورقة البحثية ما يتعلّق بتعريف الوسائل التعليمية وأنواعها وأهمّيتها، لتنفيذ بعدها للحديث عن واقع التعليم والوسائل التعليمية في المدرسة الجزائرية، وقد خلصنا من خلال هذا العنصر للقول أنّ واقع التعليم في المدرسة الجزائرية يسير من سيء لأسوء، في ظلّ غياب إستراتيجية معينة تعمل على تحقيق الأهداف المسطرة.

وفي إطار عرضنا لأنواع الوسائل الموظّفة في المدرسة الجزائرية رأينا أنّها وسائل تقليدية لا ترقى بمستوى التطوّر التكنولوجي الحديث، الذي أصبح يفرض نوعا معيّنا من التّقنية تتوافق والكمّ المعرفي الكثيف.

هذا كما تناولت الدراسة رهانات العولمة بالنسبة للمدرسة الجزائرية التي أصبحت مطالبة اليوم أكثر من أيّ وقت مضى بتحديث آلياتها لحماية ذاتها. وأمام كثرة العوائق التي تعترض التوظيف الأمثل لاستخدام الوسائل التعليمية الحديثة، إلّا أنّه لا شيء مستحيل لتحقيق المبتغى، ولنا في ذلك تجربة سنغافورة أو اليابان وغيرهما، اللذان انطلقا من الصفر، ولكن اعتناؤهما بتحديث قطاع التعليم جعلهما يبلغان اليوم شأنًا عظيمًا.

إنّ ذلك الوضع المتردّي للمنظومة التّعليميّة وللمدرسة الجزائريّة أثر سلبا على مستوى التّحصيل لدى المتعلّمين، الذين أصبح شغلهم الشّاغل التّدمر من كثافة البرامج التّعليميّة، وقلة الاستيعاب والفهم، وتدنيّ العلامات.... وأساء ما في الأمر المعاناة التّفسيّة تجاه كلّ هذه المعطيات.

وأمام هذا الوضع المزري للمدرسة، أصبح من الضروريّ الوقوف مطوّلا عند كلّ عنصر من عناصر العمليّة التّعليميّة، والنّظر فيها نظرة دقيقة فاحصة، لا تكتفي بتشخيص الدّاء، بل تسعى لإيجاد الدّواء المناسب، الذي من شأنه ردّ الاعتبار لمنظومتنا التّعليميّة. وما حديثنا عن جانب الوسائل التّعليميّة إلّا قطرة من بحر أمام ما تعيشه المدرسة الجزائريّة من أوضاع مزريّة انعكست سلبا على مستوى التّحصيل، وجعلتها بعيدة كلّ البعد عمّا تقتضيه العصرنة؛ فلا وجود لهيكل قاعدية مُعيّنة، ولا لمعلّمين مؤهلين التّأهيل الجيّد ونخصّ بالذّكر هنا المتخرّجون حديثا، ولا وسائل متوقّرة، ولا برامج تعليميّة هادفة، ولا وجود لمنهاج واضح سليم، ولا، ولا، ولا..... المدرسة الجزائريّة إلى أين؟؟؟

مقترحات

إذا كان لا يمكن تصوّر قيام عمليّة تعليميّة في ظلّ غياب الوسائل التّعليميّة على بساطتها أو تقدّمها، وأمام إمكانيات كل مؤسسة تعليميّة، أو بالأحرى قطاع التعليم ومن ثمة الحكومة والدّولة، يتعيّن في حال ضعف التزويد أو توفير أحدث الوسائل تحديث ما هو موجود ومتداول في مدارسنا، على غرار استبدال الطّبشور مثلا بالأقلام، واستبدال السّبورات الخشبيّة بسبورات الأقلام، وإيلاء العناية لإخراج الكتب المدرسيّة في أبهى حلّة بعيدا عن الأخطاء المطبعيّة واللغويّة التي باتت تؤرّق أصحاب العقول، مع الاهتمام بنمط كتابة النصوص، والصّور المنتقاة، ف«لما كان الكتاب المدرسيّ أحد الوسائل المهمّة والجاذبة لتحقيق الأهداف، فلا بدّ من تدعيم الكتاب بالأشكال والرّسوم والصّور الفوتوغرافيّة، ممّا يساعد على توضيح المعلومات» (الفريجات، 2014).

وعلى العموم نقدّم فيما يلي بعض المقترحات التي من شأنها إيجاد حلول عملية ترقى بالمدرسة الجزائريّة، وتعيد لها بريقها المسلوب، كما ترفع من المستوى التّحصيليّ للمتعلم:

-وضع خطة إستراتيجيّة محكمة لصياغة منهج تعليميّ متكامل، يأخذ بعين الاعتبار مختلف عناصر العمليّة التّعليميّة، ويسمح بتحقيق المهارات التعلّميّة حسب المراحل التّعليميّة المختلفة، باستغلال الإمكانيات التكنولوجيّة الحديثة. وهي خطة ينبغي أن يشرف على إعدادها خبراء في الشّأن التّربويّ، حتى لا تنفلت الأمور أكثر، فقد أن الأوان لتسليم زمام الأمور لأصحابها من ذوي الكفاءة العلميّة.

-ضرورة الاهتمام بمختلف عناصر العمليّة التّعليميّة؛ بما فيها المعلّم، والمتعلّم، والوسائل التّعليميّة: المعلّم، من خلال تكوينه وإعداداته وتأهيله التّأهيل المناسب بما يتوافق ومستجدات العصر، ودوره في رفع كفاءة المتعلّمين. المتعلّم: من خلال تنمية المهارات التكنولوجيّة لديه، وتكوينه التكوّن اللائق لتحديث نمطه في التعلّم، ما يسمح بتعزيز دوره في العمليّة التّعليميّة، وجعله عنصرا فاعلا، بدلا من متلق سلبيّ.

-تزويد المدارس بالوسائل التّعليميّة الضروريّة المعينة للمعلّم والمتعلّم معا، وتحديث الوسائل التقليديّة بما يتوافق وعصرنة القطاع.

-الاستغلال الأمثل لإمكانيات المدرسة لصالح تقويم عمليّة التعليم، فافتتاح المدرسة على توظيف المعدّات التكنولوجيّة الحديثة لا يمكن أن يحدث بين عشية وضحاها، لأنّه يتطلّب كما سبق الإشارة وضع خطة إستراتيجيّة يأتي تنفيذها على مراحل، مع خضوعها للتقييم والتقويم المستمرّ، وبالتالي فإنّ هذا لا يمنع الاستغلال الأمثل لما تحوزه المدرسة من إمكانيات والعمل على تجويدها وتحسينها بصفة دوريّة، مراعاة لمتطلّبات كل مرحلة، في انتظار التزوّد بالمعدّات اللازمة، وهنا نفتح قوسا لنشير إلى مستوى التّفاضل الحاصل بين المعلّمين بخصوص استحداث وسائل تعليميّة تقرب المحتوى التّعليميّ للمعلّمين.

-الاهتمام الجاد بإعداد الكتب المدرسية وطبعها طبعا لائقا يلبي حاجة المتعلم، ما دام أنّها وسيلة تعليمية لا يمكن الاستغناء عنها.

-إيلاء الأهمية اللازمة للمدارس النائية، وفكّ العزلة عنها، من خلال التّهوض بها للحاق بالركب الحضاريّ، ولن يتأتّى ذلك إلّا بانفتاحها على العالم الخارجيّ، واستعانتها بالمعدّات التكنولوجيّة الحديثة، وتحرير العقول المتحرّجة من سباتها العتيق.

-الاقتداء بتجارب الدّول التي حقّقت قفزة نوعية مشهودة في قطاع التعليم، على غرار سنغافورة وماليزيا، فما الذي يمنعنا نحن تحقيق ما حقّقه تلك البلدان غير العزيمة والإرادة اللّازمتين.

-إيلاء أهميّة خاصة لما يقدّم من بحوث أكاديميّة، يجتهد أصحابها في تسطير مقترحات للخروج ممّا تعيشه المدرسة الجزائريّة من أزمات، وتفعيل كثير من البرامج الأكاديميّة الرّامية إلى التّهوض بقطاع التّعليم في الجزائر، حتى لا تبقى مجرد أفكار ومقترحات حبيسة الأدراج.

إلى غير ذلك من المقترحات والحلول التي تحتاج إلى تفعيلها على أرض الواقع من طرف المشرفين المباشرين على القطاع.

الإحالات والمراجع:

- أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2009)، ص 152.
- انتصار الهادي شقّلب، وربيعة أحمد البركي، طرائق التدريس الأكثر استخداما لدى أعضاء هيئة التدريس بقسم رياض الأطفال بكلية التربية قصر ابن غشير بجامعة طرابلس، مجلة القرطاس للعلوم الإنسانية والتطبيقية، المجلد 01، 2021، ص 118.
- جرجس ميشال، معجم مصطلحات التربية والتعليم، النهضة العربية، (بيروت: النهضة العربية، 2005)، ص 558.
- حسين الطويجي، الوسائل التعليمية الحديثة والتكنولوجيا ودورها في التربية والتعليم، دار القلم، (الكويت: دار القلم، 1984)، ص 44.
- حسين حمدي الطويجي، وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم، دار القلم (الكويت: دار القلم، 1978)، ص 05.
- حليمة حابي، واقع التعليم في المدرسة الجزائرية الحديثة، مجلة المجتمع والرياضة، العدد 04، 2021، ص 42.
- سعد علي زابر، مناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها، دار الصفاء، (الأردن: دار الصفاء، 2014)، ص 326، 327.
- سعيد عبد الله لافي، تنمية مهارات اللغة العربية، عالم الكتب الحديث، (القاهرة: عالم الكتب الحديث، 2012)، ص 259.
- سمير جلوب، الوسائل التعليمية، دار من المحيط إلى الخليج ودار خالد اللحياني، (الأردن والسعودية: دار من المحيط إلى الخليج ودار خالد اللحياني، 2017)، ص 05، 06، وص 12-18.
- غالب عبد المعطي الفريجات، مدخل إلى تكنولوجيا التعليم، دار كنوز المعرفة، (الأردن: دار كنوز المعرفة، 2014)، ص 93، 96.
- محمد زياد حمدان، وسائل وتكنولوجيا التعليم، دار التربية الحديثة، (1987). (الأردن: دار التربية الحديثة، 1987)، ص 17، 18، 19، 20، 21.
- محمد محمود الحيلة، أساسيات تصميم وإنتاج الوسائل التعليمية، دار المسيرة، (عمان: دار المسيرة، 2001)، ص 32، 155.